مقابلة

الدكتور أليساندرو بوليتي مدير مؤسسة كلية الدفاع في حلف الناتو:

"علاقات تركيا بالغرب ستتطور أكثر بعد نتائج الانتخابات التركية الأخيرة"

عبد النور تومي

أورسام: أحدثت الانتخابات العامة التركية الأخيرة (التشريعية والرئاسية) إحساسًا بالإثارة في الشؤون العالمية، بعض وسائل الاعلام الأوروبية أشارت إلى ان الاهتمام العالمي بهذه الانتخابات شابه الاهتمام بالانتخابات الأمريكية. ما الذي جعل الانتخابات العامة التركية هذه المرة تاريخية ومختلفة؟

"هنالك أمرًا واحدًا مؤكدًا تمامًا، وهو أن تركيا لا تزال حليفًا مهمًا ويمكن الاعتماد عليه لحلف شمال الأطلسي الناتو، ومشاكلها ضمن إطار هذا الحلف هي بصراحة ثنائية مع بعض دول الناتو، ولا يمس حقًا الناتو كمنظمة."

من هو أليساندرو بوليتي؟

الدكتور أليساندرو بوليتي هو محلل سياسي واستراتيجي عالمي يتمتع بخبرة 30 عامًا. وهو مدير مؤسسة كلية الدفاع التابعة لحلف الناتو، وهي المؤسسة البحثية الوحيدة من المنظمات غير الحكومية المنتسبة لحلف الناتو. الدكتور بوليتي يقوم أيضاً بتدريس مواضيع الجيوبوليتيك والاستخبارات في الجمعية الإيطالية للمنظمات الدولية .SIOI كذلك يقوم بوليتي بتدريس إدارة الصراعات والأزمات وصنع السلام في مؤسسات أكاديمية وبحثية عديدة. بوليتي كان باحثًا أول في مركز الدراسات العسكرية والاستراتيجية التابع لوزارة الدفاع الإيطالية .CeMiSS قاد بوليتي عدة مشاريع بحثية وترأس عدة مجاميع استشارية لصالح الناتو ومختلف المؤسسات الدفاعية والأمنية الأوروبية. ولد أليساندرو بوليتي وعاش في إيطاليا، ولكنه تنقل بدافع العمل وعاش في عدة بلدان أوروبية، فهو يجيد اللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية بالإضافة للغته الأم الإيطالية. قام بوليتي بتأليف 25 كتابا في الشؤون الاستراتيجية والأمنية، فضلًا عن عشرات البحوث والمقالات، آخر كتبه "وداعاً ميركل" وهو عبارة عن تحليل تاريخي لسيرة المستشارة الألمانية السابقة انجيلا ميركل.

الدكتور أليساندرو بوليتي: من المفهوم أن وسائل الإعلام تميل إلى إجراء مقارنات شعرية وبلاغية. السياسة شيء آخر. فالمهم في هذه الانتخابات أنها كانت محل نزاع سياسي عادل، واعتبر التصويت حراً. كان على أردوغان أن يواجه مرشحًا قادرًا على تمثيل جزء كبير من الناخبين الأتراك. الانتخابات أجريت وانتهت، والآن حان وقت العودة إلى العمل، سواء في أنقرة أو خارج البلاد (في الخارج). ومن ثم، كانت هذه الانتخابات خاصة بالطبع لأن لدى الناس، على الأقل بعض الناس، توقعات بحدوث تغيير ما في المعادلة السياسية، وهو أمر طبيعي جدًا في النقاش السياسي. لكن في النهاية، أعطوا تفويضًا آخر وأكد الأغلبية تأييدهم للحقبة الطويلة جدًا لحكومة أردوغان. هذا رائع للغاية، لأنه لا يمكن لعدد كبير من رؤساء الدول ورؤساء الحكومات أن يكون لهم مثل هذا التأييد الشعبي طويل الأمد. وبالنسبة لبقية الأمور، غدًا يوم آخر.

أورسام: هل يمكننا القول أن ذلك بسبب شخصية الرئيس التركي الذي أعيد انتخابه رجب طيب أردوغان؟

الدكتور أليساندرو بوليتي: توقعات وسائل الإعلام شيء والسياسة شيء آخر. أعتقد أنه بالطبع بعد سنوات عديدة في السلطة، فإن الرغبة في أشياء جديدة وأشخاص جدد في السلطة، أمر مفهوم تمامًا. إنه جزء من النظام الإعلامي. لكن السياسة ليست كذلك. لذا، في الدول الديمقراطية يبقى المرء أو يذهب لأنه يفوز في الانتخابات، ومن ثم يكون قادرًا على الحكم. في هذه الحالة، فإن شخصية أردوغان هي بالطبع شخصية سياسية هائلة. إنه قادر جدًا على إبقاء حزبه في السلطة. لديه سجل حافل في الحكومة. وهذا ما يهم حقًا. أود أن أضيف أيضًا أنه حتى لو فاز كيليجدار أوغلو في تلك الانتخابات، رأى العديد من المحللين أن السياسة الخارجية التركية لن تتغير بعمق أو بين عشية وضحاها، لأن الضرورات والمصالح الاستراتيجية المحددة هي على الأرجح استراتيجيات طويلة الأمد للسياسة الخارجية.

أورسام: سواء أحبه المرء أو يكرهه، في الواقع أردوغان قد أحدث تغييراً تاريخياً في سياسة تركيا وفي ثقافتها السياسية بشكل عام. ما هو رأيك؟

الدكتور أليساندرو بوليتي: يجب أن يكون الأمر مثيراً للاهتمام، إذا كان هنالك بعض المؤرخين، من داخل تركيا وخارجها، يبحثون عن تجارب تاريخية ملهمة ومفيدة، فأنني أقترح عليهم أن يبدئوا في جمع المواد لكتابة تاريخ وسيرة ذاتية لعصر حزب العدالة والتنمية، الجيد منها، أو غير الجيد، النجاحات أو الاخفاقات. تغيرت السياسة التركية كثيراً بسبب وجود أردوغان وتأثيره. فقد تغيرت معادلة متى يمكن للجيش التركي أن يتدخل في السياسة. وهذا تغيير مهم، وهو تغيير يحدث فرقًا كبيرًا مقارنة بالعديد من البلدان المجاورة الأخرى، خاصة في العالم العربي، وحتى بعض الديمقراطيات الراسخة في بعض الأحيان لديها عدد كبير جدًا من الجنرالات الذين يمارسون السياسة. الأمر الآخر هو أن تركيا بدأت تمتلك نموذجًا مختلفًا، نوع مختلف من السياسة الخارجية، بالطبع لم يكن الأمر سهلاً دائماً، لقد بدأت الحكومات الأولى لحزب العدالة والتنمية حقا بدون مشاكل، والآن ترى أن هنالك مشاكل. لكن هنالك أمرًا واحدًا مؤكدًا تمامًا، وهو أن تركيا لا تزال حليفًا مهمًا ويمكن الاعتماد عليه لحلف شمال الأطلسي الناتو، ومشاكلها ضمن إطار هذا الحلف هي بصراحة ثنائية مع بعض دول الناتو، ولا يمس حقًا الناتو كمنظمة. أدرك أردوغان ذلك في وقت مبكر جدًا. لكن لسوء الحظ، لم تكن هنالك فرصة كبيرة لتركيا لدخول الاتحاد الأوروبي. أنا شخصياً لا أعتقد أن هذه مسألة مغلقة، لكن في هذه اللحظة، لا بالتأكيد، هذه المسألة في وضع الانتظار تمامًا. من جانب آخر، من الواضح أن هذه الحكومة وضعت تركيا بقوة في مركز المسرح السياسي

الإقليمي وأحيانًا على الساحة العالمية فيما يتعلق بالشؤون الداخلية. لقد مر وقت، كما تعلمون، كان الإجماع الشعبي على دعم حكومة حزب العدالة والتنمية فيه مرتفعًا للغاية، وكان الاقتصاد التركي أيضًا في حالة أفضل. الآن الأوضاع تختلف، لكنه أمر عادي، يمكن أن تتعرض له أي حكومة، خاصة عندما يكون لديك أزمة اقتصادية طويلة بدأت بالفعل في عام 2006، وقد تفاقمت بسبب جائحة COVID-19، ومن ثم تداعيات هذه الحرب المؤسفة في أوكرانيا. لذا، نعم، لقد أحدث أردوغان تغييراً كبيراً في السياسة التركية.

أورسام: لقد أيد الكثير من النخب ووسائل الإعلام في الغرب وحتى بعض القادة السياسيين الغربيين مرشح المعارضة التركية السيد كمال كيليجدار أوغلو. كيف سيتعايش الغرب مع الرئيس الذي أعيد انتخابه رجب طيب أردوغان الآن؟

الدكتور أليساندرو بوليتي: لا أستطيع القول إن الغرب كليًا كان يدعم كيليجدار أوغلو. نعم هنالك دوائر إعلامية معينة وصناع رأي وبعض المثقفين وأيضاً بعض السياسيين، نعم فعلوا ذلك. لكن هذا جزء من الجدل السياسي العادي. أما بعد انتهاء الانتخابات، حسنًا، السياسة هي فن الممكن. وأعتقد أن هنالك الكثير من المصالح المشتركة للغرب مع تركيا. هنالك عدد من الدول الأوروبية المهمة، وكندا والولايات المتحدة، جميعهم لديهم مصلحة مشتركة للعمل مع تركيا، في جهود الوساطة بين طرفي الصراع إنهاء هذه الحرب المشينة التي تدور رحاها في أوكرانيا منذ أكثر من عام ونصف. وهذه أول مصلحة مشتركة قوية للغاية بين الغرب وتركيا. المصلحة المشتركة القوية الأخرى، هي العمل المشترك مع تركيا لتحقيق استقرار أكبر في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وربما حتى منطقة الساحل والصحراء. حيث إن تركيا حاضرة ومؤثرة بقوة على طول الحدود السورية، في ليبيا، وفي البحر الأسود. لذا فهي في الحقيقة قضايا ربما ليس من اللطيف تقديمها للرأي العام، بمعنى أن الرأي العام يبدأ بالتعب من هذه المشاكل، إنهم يريدون حلولًا، ولكن يمكن حل هذه المشكلات، بما في ذلك، على ما أعتقد، المشكلات المتعلقة بسوق الطاقة في شرق البحر الأبيض المتوسط، الطاقة هي مصلحة مشتركة أخرى قوية للغاية بين الغرب وتركيا، إلى جانب الأمن الغذائي والأمن البحري. لذا فإن

الأساس لتعايش وتعاون أكبر بين تركيا والغرب موجود. هذا يعتمد بالتأكيد على تفاعل الدول المختلفة ضمن هذا الإطار.

أورسام: أظهر الناخبون الأتراك قدرًا كبيرًا من النضج والوعي السياسي. هل تحرز العملية الديمقراطية التركية تقدما؟ هل يمكن الحديث عن النموذج التركي الذي سيؤثر على منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا؟

الدكتور أليساندرو بوليتي: أعتقد أن الانتخابات التركية أعطت مقياسًا حول كيفية مناقشة مختلف القضايا التي تهم الشعب، وكيفية انتقاده، ومن ثم التصويت عليها. تميل الديمقراطيات إلى أن تكون ناقصة. أعتقد أننا لا نشهد اليوم مجرد تراجع للديمقراطيات في جميع أنحاء العالم، ولكن لسوء الحظ أننا نعيش تضاؤل الجودة داخل الديمقراطيات. أعتقد أن قلة قليلة من البلدان يمكنها أن تتباهى، بالرضا عن كيفية عمل ديمقراطياتها. على المرء فقط إلقاء نظرة على الولايات المتحدة، وفرنسا، وإيطاليا، وألمانيا، وإسرائيل، والمملكة المتحدة، والقائمة تطول. بعض البلدان تفعل أفضل من غيرها. لذلك هنالك تقدم في الديمقراطية التركية، وهنالك في نفس الوقت جوانب أقل حماسة أيضاً. وهذا جزء منه بالطبع بسبب الحكم الانتخابي الذي يصدره الناخبون عند التصويت. أعتقد أن لدى أردوغان كل الإمكانيات والأدوات لفهم أسباب عدم تصويت جزء كبير من الناخبين الأتراك له، والعمل على معالجة ذلك. ومع ذلك، فيما يسمى بمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، لا توجد ديمقراطية واحدة فقط. والديمقراطيات ليست موحدة. هذا شيء مهم آخر. لذلك بالنسبة للبلدان التي تواجه بالفعل صعوبات شديدة في عملياتها الديمقراطية، أو البلدان غير الديمقراطية، نعم، يمكن لتركيا أن تعطي مثالاً، ومن المهم أخذ ذلك في الاعتبار. مرة أخرى أقول، الديمقراطيات غير قابلة للكمال كما نرى كل يوم.

أورسام: هل تعتقد أنه ستكون هناك بعض التغييرات في السياسة الخارجية التركية بعد إعادة انتخاب الرئيس رجب طيب أردوغان؟ إذا كان الأمر كذلك، ما هي معالم هذه التغيرات المحتملة؟

الدكتور أليساندرو بوليتي: من المثير للاهتمام أن نرى أن حكومة الرئيس أردوغان فعلياً تواجه خيارات وتحديات تشبه إلى حد بعيد ما تواجهه إدارة الرئيس بايدن. فمن ناحية، أعتقد أن أردوغان سيواصل سياسته الخارجية التي يُطلق عليها السياسة متعددة الاتجاهات ذات المستويات المختلفة، مع جهات فاعلة إقليمية وعالمية مختلفة، وبفروق دقيقة مختلفة. ومن ناحية أخرى، هنالك مهمة إنعاش الاقتصاد التركي، وإعادة إعمار أجزاء البلاد التي دمرها الزلزال، إعادة البناء الاجتماعي لتلك المناطق. وهذا مشابه جدًا لما يصنعه بايدن، أو يحاول صنعه في الولايات المتحدة. إنها الأولوية الأولى لإدارة بايدن. وأعتقد أن هذا سيكون بالتأكيد إحدى الأولويات الكبرى لأردوغان لأنه كما قال أتاتورك: يجب تحقيق "السلام في الداخل، السلام في الخارج". هناك بالطبع بعض القضايا بين تركيا والاتحاد الأوروبي تحتاج أيضاً إلى تركيز اهتمام حكومة الرئيس اردوغان عليها. أما عن العلاقة بين تركيا والولايات المتحدة، أعتقد أنه من المهم هنا أن نفهم أن تركيا بحاجة إلى المزيد من الأموال لإصلاح الاقتصاد، ولحسن الحظ فإن التأثيرات غير المباشرة للمصالحات التركية-الخليجية قد سهلت ذلك. المساعدة من دول الخليج مهمة بالطبع، لكن بالتأكيد الشراكات الاقتصادية مع الأوروبيين أيضاً مهمة لتركيا. يمكن أن يساهم الاتحاد الأوروبي، وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي أيضاً، في عمليات تنشيط الاقتصاد التركي، إذا كانت هنالك إمكانية لإجراء حوارات وتفاهمات حول هذه القضايا. من جانب آخر، هنالك فرص. الفرصة الأولى، التي لا تعتمد بالطبع على إرادة أنقرة فقط، هي إمكانية أن تكون تركيا وسيطًا بين روسيا وأوكرانيا. لا يمكن لأوكرانيا، للأسف، بغض النظر عن النوايا الحسنة، أن تقرر بمفردها السلام، لسبب بسيط لم يحدث أبدًا في التاريخ. السلام ليس في فراغ. السلام في سياق. في هذا السياق، هنالك لسوء الحظ العديد من الجهات الفاعلة بالإضافة لأوكرانيا. يمكن لتركيا أن تقوم بدوراً كبيرا في هذه المسألة إن أتيح لها ذلك. الأمر الآخر بالطبع هو مشروعات الغاز في البحر المتوسط. إذا كانت هناك فرصة بين أثينا وأنقرة لإجراء حوار هادئ حول هذه الأمور، وهذا ليس مستحيلًا، كما حدث مؤخراً بين السعودية وإيران، وبين أرمينيا وجورجيا وأذربيجان. ■

عبد النور تومي: باحث وأكاديمي من الجزائر، حاصل على الدكتوراه في العلوم السياسية، خبير في قسم دراسات شمال افريقيا في مركز أورسام.